الباب الأول
مقاربات المحدثين للتراث النحوي

1 - التجريبية عيب مقاربات التراث النحوي

يحتل التراث النحوي مكانة متميّزة في الثقافة العربيّة لحجمه الهائل وكثرة العلماء الذين توفّروا على دراسته والتأليف فيه ثمّ خاصّة لحضوره الدائم في ذاكرتنا الجماعية وتوجيهه لكثير من اختياراتنا وسلوكاتنا مهما تنوّعت أشكال هذا الحضور والتوجيه.

ولذلك مثّل نقد التراث النحوي مشغلا بارزا من مشاغل المثقّفين العرب في العصر الحديث والمعاصر وكان البحث اللغوي من أهمّ النشاطات الفكريّة لأهميّة القضيّة اللغوية وتشعّب مظاهرها ضمن إشكالية النهضة التي ينشدونها.

انطلقت محاورة التراث بسيطة تلبية لحاجيات عملية مباشرة، ثم اكتسبت بعدا أشمل لم يعد أصحابه يقنعون بمباشرة بعض الجوانب الجزئية في التراث النحوي العربي، وإنّما طال نقدهم صميمه ومفاهيمه الأساسية. وقد تناول هذا النقد كلّ جوانب التراث. فقد تناول الظروف التاريخية التي حفّت به والعوامل التي أثّرت فيه ووجّهته وطبعت أصوله المنهجية الكبرى. وتناولت مفاهيمه الإجرائية وقضاياه الجزئية.

وقد كاد يجمع ناقدو التراث على أن بالنحو العربي عيوبا تجعل إصلاحه وإعادة النظر فيه ضرورة ملحّة ومهمّة أساسية من مقتضيات عصرنا ومسلتزمات نهضتنا وذهبوا في هذا النقد مذاهب شتّى وتباينوا في تشخيص هذه